المشروع وأبعاده النظرية

أ/ لبنى زعرور

مقدمة:

لقد اهتم الإنسان بكل الأشياء الغريبة أو الغامضة وكان هذا الاهتمام من أهم أسباب تطور البشرية واساليب معيشتها وحتى تفكيرها. ولقد كان المستقبل ولا يزال واحد من أهم اهتماماته، فهو شيء غامض مثير للقلق وللتساؤلات، وهذا ما حمله على التطلع الدائم والبحث المشحون لمعرفة ما بعد اليوم أو الحاضر، ولقد توصل الإنسان الى العديد من الطرق والوسائل للكشف عن هذا المستقبل الاشباع فضوله وتخفيف مخاوفه ولو بصفة جزئية. ففي المجتمعات بدائية كان الكشف عن هذا المستقبل يتم بطرق تعكس طبيعتها وبساطة معيشتها كالتنجيم، السحر والتخيل وبتطور المجتمعات وتعقد نظم حياتها ازدادت تقنيات الكشف عن المستقبل تعقدا ودقة، وقد اكتساها طابع العصرية والعقلانية، وأصبح التنبؤ خاضعا للتخطيط الشيء الذي جعله مربوطة بالزمن والوسائل، الموارد وغيرها من المصطلحات التي أوجدت المشروع وجعلت منه ضرورة من ضروريات العصر.

وبهذا تخلصت المجتمعات التكنولوجية من المكتوب والقدر اللذان يطبعان المجتمعات التقليدية التي "يتمسك أفرادها بالمعايير الثقافية الموروثة من الماضي. فمثل هذه المجتمعات موجودة لحد الآن ولها سلوكات تعاكس المشروع، أو وببساطة افرادها افراد بدون مشروع" (Boutinet, J.P.,)، فهي متمسكة بالماضي وتعيش يوما بعد يوم دون القلق من المستقبل ولا التخطيط له والاستعداد لما قد يحمله هذا الأخير من تغيرات ومستجدات قد تخدمها أو لا، عكس المجتمعات التكنولوجية المشغولة بالفعالية، والتي تعمل- من أجل التحكم في الوقت والتحضير للمستقبل ليكون في خدمتها، وهذا ما فتح المجال للمبادرات

والعمل من أجل الوصول إلى ما تصبوا إليه، وجعلها تتحدث أكثر فأكثر عن المشروع و تتبنى ثقافته و لمعرفة أكثر عن هذا الموضوع أبينا إلا أن نخصص هذا المقال لتوضيح معنى المشروع وخصائصه مع مقارنة خفيفة بينه وبين بعض المصطلحات القريبة منه والتي قد يختلط معناها ومعنى المشروع ثم تنتقل لتوضيح أهميته فأنواعه.

1-ما هــو المشروع:

يصعب في الحقيقة الغوص في ماضي المعرفة الإنسانية و التي تمتد جذورها الى ظهور اول انسان فوق الأرض ، ورغم احتمال ظهور كلمة المشروع منذ عهود غابرة و التي قد حملتها في صور مختلفة عن الصور التي نعرفها اليوم إلا أننا نضم فكرنا إلى فكر (. Gaichard, J) والذي يقول "أنه مع (Heidegger) سنة 1927 اكتسب المشروع مكانة أساسية لأول مرة في تاريخ الفكر لانه يرجع إلى السؤال الأساسي الميتافيزيقية : الا وهو إمكانية فهم الإنسان. سنوات بعد ذلك وجمد المشروع مع (Sartere) مكانة في لب فلسفة العمل أين يصمم الإنسان العمل كما يجب أن يكون" (Guichard, J, 1993, p 14).

إذا أعتبر المشروع في النصف الأول من القرن العشرين كتصنيف اساسي للتساؤلات حول الحقيقة و الحرية، فهو يرتكز على المُسلمة القائلة أن "الانسان يمتلك بعض الحرية المقيدة بتواجد اللاشعور وبما هو غير قابل للتحقيق " (Bonvatot,G., Courtios, B., 1984, p 158) .إلا أنه يعبر عن حرية الإنسان والتي تنطلق من الرغبة في القيام بشيء لتصل إلى الفعل. بالإضافة الى كونه ذا بعد تنبئي إذ أن كلمة مشروع مستمدة من فعل . (Projeter) وهو فعل" الارتماء إلى الأمام وبقوة (Rondeau, J,L,1992, p 401)، مما يجعله رهانا يمكن تحقيقه أو لا. وهذا ما يؤكد عليه (Le petit Robert) عند وصفه " بصورة الحالة التي نظن اننا ستصل إليها " (Ministère de l'éducation française, 1992, p 10) .

وهو ومن خلال ما فات نقول أن المشروع نية تترجم عن طريق انضمام افعال واضحة ومفكر فيها، فهو يخرج إلى الوجود عن طريق عمل مع إمكانية عدم التحقيق لأنه قد يخضع

لبعض المقاومات و المعوقات التي تجعل تحقيقه غير ممكن، "علما أنه يصعب التعرف على معوقات المشروع لأنها تختلف باختلاف نوعه" (Dennery, M., 1999, p 130).

والمشروع "لا يعني النشاط الحاضر إلا اذا كانت له علاقه بالمستقبل المقصود والضروري له باعتباره رمي امام الذات" (Guichard, J, op cit, p 15). كما يقول(Heidegar) فهو ليس فقط نتيجة تفاعل الماضي، الحاضر والمستقبل بل يمنح معنى محدد للماضي والحاضر من خلال الفعل ، و هو مربوط بزمن يجعل الماضي والحاضر منطلق له و من المستقبل صانعة ، و بمعنى آخر فهو يلعب على محور الزمن منذ ظهور الرغبة في تحقيق الفعل. وكملخص لهذه النقطة، نقول أن المشروع نية مقصودة، مسجلة في الوقت والفعل" (Rondeau, J,L,1992, p 405)، فهو حسب (Guichard) "فعل ارادي محدد بزمن ومربوط بستقبل يحقق فيه، وبدون هذا المستقبل لا يكون هناك مشروع(Guichard, J, op cit, p 18)

و أخر نقطة نضيفها لهذا العنصر هي تعريف (Antoine) الذي عرف المشروع على أنه " النية المعلن عنها هنا والآن . بطريقة سطحية أو بدقة. لتحقيقها لابد من عمل شيء ما في المستقبل القريب أو البعيد، متجانس أو لا، مع وسائل تحقيقه اي واستراتيجيته، فهو فكرة نشكلها لما سوف نقوم به، والوسائل التي نستعملها" (L.Bordallo, JP Ginestet, 1993, p.8). ام ومن هنا وبالإضافة إلى كونه المشروع نية محققة عن طريق سيرورة من الأفعال مربوطة بزمن ومحددة باستراتيجية عمل نورد هنا قطتين مهمتين ألا وهما وسائل تحقيق المشروع، ونجاعته إذ أن تحقيق أي مشروع يرتكز على الوسائل الموفرة له، بالإضافة إلى مدى دقة التخطيط الخاص بتحقيقه وبلوغ أهدافه، وبمعنى آخر نجاح المشروع مربوط بحسن التخطيط له وبتحديد الأهداف واختيار الوسائل الأكثر توافقا وطبيعته وهدفه، بالإضافة إلى تحديد زمنه وحسن تجاوز المعوقات. وكما عبر عنه نفس الكاتب بقوله أنه " تنظيم للوسائل التي توصلنا إلى الأهداف المسطرة أو سلسلة من الأفعال تمكن من الوصول إلى الهدف، فهو ما تريد الحصول عليه و الطريقة التي تحصل بها عليه (L.Bordallo, JP Ginestet, ibid , p 8).

نستخلص ما سبق بالقول أن المشروع يظهر من خلال مشكل أو موضوع يثير اهتمامنا وانشغالنا وهذا الأخير يؤدي بالفرد أو الجماعة الى التخطيط له بتحديد سلسلة من الأفعال والنشاطات المحددة بمدة زمنية للتحقيق وبوسائل توصلنا الى تحقيق الأهداف المسطرة وتحديد الافراد والكفاءات وتحديد المهام الشيء الذي يفرض تعدد المشاريع وتنوعها حسب طبيعة كل مشروع وهدفه فنجد الأن الكثير من الناس يتحدثون عن مشاريع المجتمع مشاريع المنشئة، مشاريع التربية، مشاريع المؤسسة، بيداغوجيا المشروع، والمشاريع المهنية والمشاريع الشخصية". وللمزيد من المعلومات ننتقل في هذا المقال إلى أنواع المشاريع، ونتحدث عن المفاهيم القريبة من مفهوم المشروع فيما يلي.

2/ خصائص المشروع والمصطلحات القريبة منه:

1.2. المشروع كتصور:

من خلال تعريف المشروع يمكننا استخلاص ثلاثة خصائص أساسية له، أولها يأخذنا للتصور المعرف بالثنائية (غياب / حضور)، فكما يقول (S.Moscovici) "التصور هو حمل موضوع إلى الحاضر ، هذا الموضوع ليس موجودا و نحن نعلم أنه غائب" . (Maache, Y, 1986, p 27) . و المشروع مبني على المستقبل الذي نتمنى الوصول إليه، أي جعل المستقبل الغائب حاضرا، فهو " مبني على مجموعة من التصورات لما هو غير موجود الآن و لكن نراه ممكنا من خلال ما ندركه من الوضعية الحالية (Guichard, J, opt cit, p 27). و في هذا المفهوم يقول (J.P.Boutinet)أن " المشروع تصور ، فهو تصور شيء غائب عن المجال المادي ، هذا الغياب مرغوب فيه و لذا نجعله حاضرا " (opt cit, p 94). ومن خلال المخطط رقم (1) والذي بعد مجرد تجسيد للعلاقة بين التصور و المشروع فلا وجود للمشروع بدون تصور . وتكملة للمعنى السابق نقول أن التصور هو نشاط بناء عقلي للواقع .... انطلاقا من معلومات يتلقاها الفرد أو مجموعة أفراد المشروع ، وكما وضحته الباحثة (Hadef, A, 1994, p 32) (2002، ص 22) فإنه لا وجود لتصور من العدم ، و المشروع هو تصور لما هو غائب انطلاقا

مما هو كائن، مع نية للتحقيق وتوفير لكل ما يجب لذلك، والرغبة في التحقق تعد من أساسيات تحقيق اهداف المشروع.

المخطط رقم (1) العلاقة بين التصور و المشروع

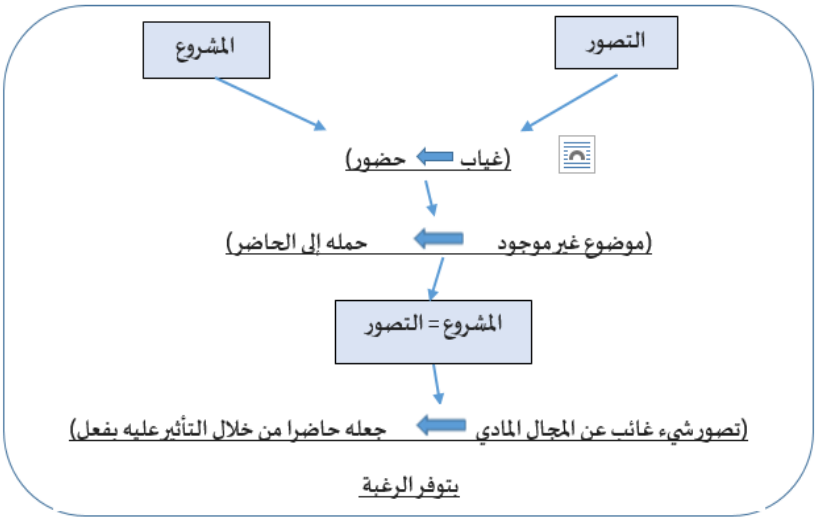

من انجاز الباحث

1.2 المشروع كتصور إجرائي؟

ثانيها هو أن المشروع تصور إجرائي عملي، أي فكرة تحويل الممكن إلى الواقع (Barbier, JM, 1994, p 141) فهو عملية إحضار الشيء للتأثير عليه ، إذ للتصور الإجرائي " خاصية العمل على غائبين (حضور /استدعاء) بمعنى موضوع غائب مؤقت، و في نفس الوقت هذا الموضوع غير موجود في الواقع فالمشروع هو إحضار شيء غائب في الوقت الحاضر و ليس له وجود من قبل وجعله موجود في الذهن ثم التأثير عليه و الوصول إليه عن طريق الفعل.

المخطط رقم (2): المشروع كتصور إجرائي

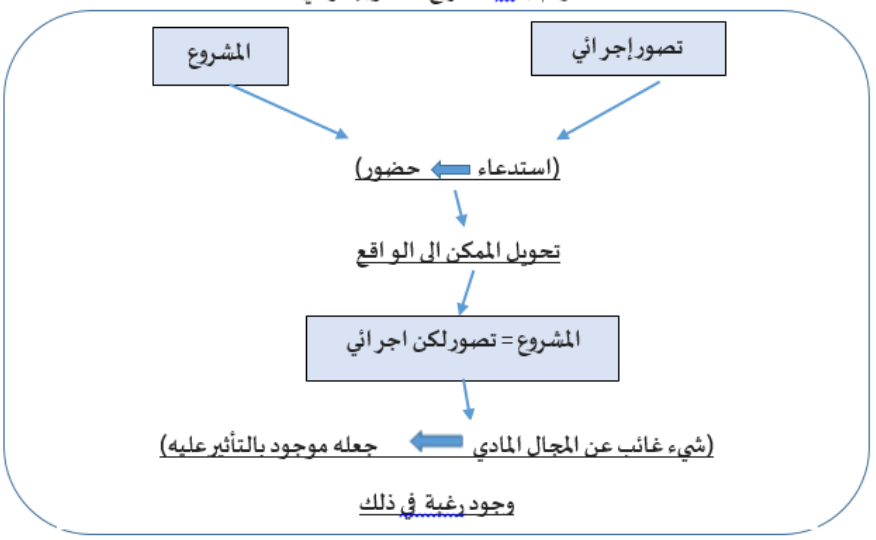

من انجاز الباحثة

فما نقصده بالمخطط السابق هو "أن المشروع تصور إجرائي لأنه يحتوي على الرغبة في تحقيق التصور، وبالتالي فهناك فعل لتحقيق ما هو غير موجود، مع وجود رغبة في التحقيق. أي أننا نقوم بالتأثير عليه بالعمل وبالتالي نقله من مجرد تفكير عقلي أو من خيال عشوائي إلى عمل منظم ومحدد بزمن ووسائل للتحقيق" (زعرور، 2002، ص 22).

3.2المشروع كسبق المستقبل ؟

وثالثها هو المشروع كسبق المستقبل، فيما أن المشروع عبارة عن تصو فهذا الأخير يحمل علامة تشكيل الحاضر الذي نبنيه ولهذا يتو من الصعب تحليل المشروع دون اعتباره سلسلة تصورية أي " التشكيل التصوري للحاضر هو الذي يسمح للفرد بتحديد بعض المشاريع، لكن في نفس الوقت يحمل هذا التشكيل علامة النية ... بالإضافة أنه يدفع بالإنسان إلى وضع كل الاحتمالات التي يمكن أن تؤثر على سير بناء المشروع بالموازاة). وللتمكن من معرفة الحالة التي نريد الوصول إليها لابد من سبق المستقبل الشيء الذي يجعل المسؤولين مستعدين لأي تغير، حيث يصبح هذا الأخير اختيارا حتى إن صادفته بعض التغيرات فسيكون محضرا لها.

وللمزيد من التوضيح نستدل بوصف الدكتور (يوسف معاش) للمشروع والذي يقول إنه "سبق للمستقبل، ولكنه ليس مجرد تصور بسيط للمستقبل، ولكنه مستقبل للإنجاز، المستقبل الذي يتعلق بالفرد أو بالجماعة التي ينتمي لها الفرد". ففي هذه الحالة يصبح محرك بما أنه يسمح بلمح الوسائل التي تستعمل الخروج من مضيق، لمواجهة مشكل. فالمشروع قوة منشطة من خلال الرغبة في التغيير..." (Maache, 2001, p 23). تكمل الباحثة في نفس المنحى بالتأكيد " على أن المشروع تصور لما تريده، وأنه تصور مبني على واقع يجعله ممكن التحقيق، و أنه ليس مجرد سبق للمستقبل بل هو كل متكامل من الأفعال و الوسائل وغيرها من العوامل التي تساعد على تحقيقه (زعرور، 2002، ص 22)." .

وإليكم المخطط الموالي والذي يوضح أنه لا وجود لمشروع بدون سبق المستقبل لأن هذا الأخير يساعدنا على إيجاد التغيير وتحقيق المشروع.

المخطط رقم (3) العلاقة بين التصور و سبق المستقبل

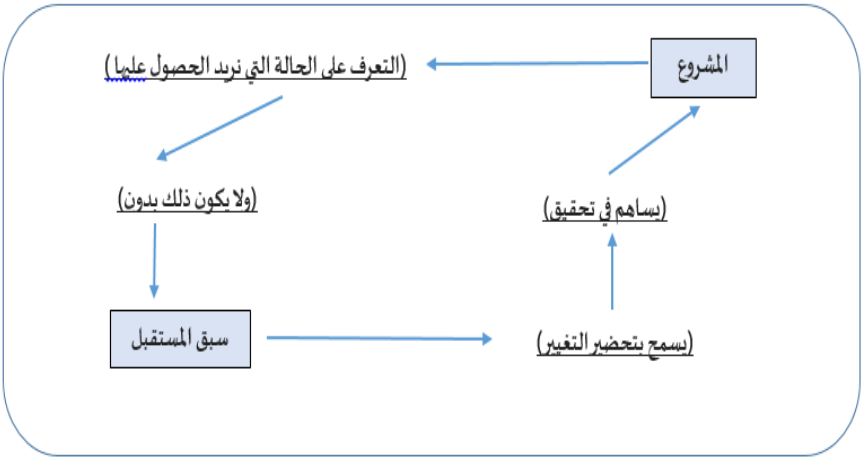

من انجاز الباحثة

ولا يفوتنا أن نشير في هذا الجزء إلى أن المشروع يعني سبق المستقبل والعكس ليس صحيحا، وربما سبقنا للمستقبل هذا ما هو إلا تعبير عن تجنبنا للانتظار السلبي بتهيئتنا لكل

جديد أو طارئ قد يواجهنا. وأحسن مثال يمكن ذكره عن ما قلناه في هذه الأسطر الأخيرة هو المثال الذي ذكره كل من (Couchhaere, M .J a t Bellenger) والمتمثل في - أنه في - لعبة التنس سبق المستقبل هو أن تتوقع أين ستقع الكرة لنستعد لرميها و نسجل هدفا .(17 p ,1999).

4.2المشروع و المصطلحات القريبة منه ؟

و قبل الانتقال إلى العنصر الموالي و الزيادة توضيح معنى المشروع و تفادي للخلط بينه و بين بعض المصطلحات التي تبدوا قريبة منه، نقول أن التنبؤ هو " التكلم عن المستقبل باستنتاجه عقلانيا من الماضي (Gabilliet, P, 1999, p 24) . كما يمكننا القول أنه وصف للحالة التي سوف يكون عليها المستقبل انطلاقا من المعطيات التي تم التوصل إليها سابقا. وقد نستعمل في التنبؤ وسائل تمكننا من الوصول إلى نتائج غالبا ما تكون كمية، "فهو علم يدرس الأسباب الاقتصادية، العلمية والاجتماعية التي تدفع بالتطور العصري، والتعرف على الأوضاع التي يمكن أن تحدث أو تنجم عن تأثير هذه الأسباب". (Boutinet, J.P., opt cit, p 85) . ولكن تحقيق التنبؤ لا يخضع لإرادة الإنسان أو المتنبئ وكمثال على ذلك نذكر أن التنبؤ بالهزات الأرضية لا يعني القدرة على التحكم فيها أو التخفيف من شدتها. أما المشروع فهو أيضا يعتمد على معلومات وحقائق سابقة لأنه لا ينطلق من العدم إلا أننا نعمل على تحقيقه وبدوننا لا يمكن أن يكون هناك مشروع. وبالإضافة إلى كون " التنبؤ في معيار يته العلمية يهتم بمعرفة الأشياء، فإن المشروع لا يقتصر على معرفتها فقط و إنما يهتم بالفعالية و يسعى إلى التأثير عليها وبالتالي تحويلها ". (Boutinet, JP, ibid, p. 25) . و قبل أن ننتقل إلى مصطلح آخر نذكر أن المشروع يرتكز على مجموعة من التنبؤات لتحقيقه.

أما فيما يخص التخيل سواء من أجل الهروب من الصراعات النفسية عن طريق الخيال أو ما سماه (J.P.Boutinet) في كتابه Anthropologie du projet، الخيال من النوع المنطقي أو الخيال العلمي ، و الذي يتمثل في تخيل الأشياء وكأنها موجودة في الواقع بالارتكاز على حقائق واقعية و تطويرها عن طريق إطلاق العنان للخيال ، أو ما سماه بالخيال من نوع

الحلم ، إذ هناك نوعين من الخيال وفي كلتا الحالتين يتم التحدث عن المستقبل دون تحديد مدة تحقيقه.

و لذا نقول بأن المشروع قد يتخذ من النوع الأول بعض الخصائص (ففرويد) يربط دائما بالارتماء في المستقبل بميكانزم دفاع و الذي بواسطته يخرج الفرد موضوع صراع داخلي أو صراع خارجي، إذ كلاهما يعتبر منفسا للفرد و ذلك بالتعبير عنهما عن طريق الخيال أو المشروع . كذا نجد أن المشروع يتداخل مع الخيال العلمي من حيث اعتمادهما على حقائق واقعية وانطلاقا من تحليل الوضعية علما أن المشروع فعل وهو محدد بزمن معين
(زعرور، 2002، ص 26).

أما المخطط فيتكلم عن المستقبل المرهون بالنشاط الذي يقسم إلى مراحل منظمة فمثلا يعرفه (Ackoff) على أنه المستقبل المرغوب فيه و كذلك الوسائل التي تسمح لنا بالوصول إليه . و كذا نجد (P. Asse) الذي يقول أن المخطط ضد الصدفة و هو لا يأخذ باعتباره المشاريع الأخرى (Gabilliet, P., opt cit, 24 p)، فالمشروع يعتمد على التخطيط المنظم وهذا ما يؤكد عليه التعريف الذي يصفه " بالتفصيل المنظم لما سنقوم به أو التخطيط المنطقي لما هو متوقع " (L.Bordallo, JP Ginestet, opt cit, p.8) ، فهو يعتمد على الفعل الذي يعتبر ميزة من ميزاته الأساسية وكذا على الوسائل . و رغم أن واضع المشروع ليس واثقا من تحقيقه إلا أنه يأخذ المشاريع التي تتداخل مع مشروعه و تؤثر فيه بعين الاعتبار .

وكذلك كثيرا ما يخلط بين المشروع و البرنامج فالأول ما هو إلا جزء من هذا الأخير ورغم أنه يمتاز بداية ونهاية إلا أنه يدرج دائما ضمن برنامج شامل، وهذا الأخير عبارة عن مجموعة من المهام المتناسقة والمحددة بالوقت والفضاء
(Bellenger et Couchwere, opt.cit., p. 47) .

ومما يمكن استنتاجه هو أن المشروع يتشابه و مختلف طرق سبق المستقبل، فان لم تكن جزء منه كان هو كذلك بالنسبة لها، وإن لم يكن متداخلا و اياها كان مكملا لها و ذلك لطبيعة قاسمهم المشترك ألا وهو المستقبل، وما نؤكد عليه هو أن المشروع يتصف بالتحكم والتوجيه و هو مجموعة نشاطات لتجسيد النية.

و كخلاصة لهذا الجزء نرجع قول (C.Heslon) و الذي يقول " أن المشروع يختلف عن باقي أشكال الكشف عن المستقبل لأن هذه الأخيرة تسعى إلى تشكيل ما يجب أن يحدث أو يكون عليه المستقبل، لكن المشروع يسعى دائما إلى التحكم، التنظيم، و التوجيه أي أنه عبارة عن نشاط للتحكم في ما سوف يحدث (opt cit, p 27) . و للمزيد من التوضيح قمنا بتلخيص هذا الجزء في الجدول الموالي ، من خلال محاولة تبيان النقاط المشتركة والمختلفة للمشروع والمصطلحات السابقة الذكر.

الجدول رقم (1) : خصائص المشروع و المصطلحات القريبة منه

المصطلحات القريبة من المشروع	الخصائص الخاصة بالمصطلحات القريبة من خصائص المشروع	الخصائص الخاصة المشروع
التنبؤ	يتحدث عن المستقبل	تصور المستقبل
	الانطلاق من معطيات الحاضر	الانطلاق من معطيات الحاضر
	لا يخضع لإرادة الإنسان	يتوقف على الإنسان
	يهتم بمعرفة الأشياء	يؤثر على الأشياء
التخيل	يتخيل الأشياء وكأنها واقع	يتصور الأشياء كما يريدها أن تكون
	الانطلاق من معطيات الحاضر	الانطلاق من معطيات الحاضر
	يتحدث عن المستقبل دون تحديده بزمن	المشروع فعل وهو مربوط بالزمن
	التخيل العلمي منفس للإنسان	المشروع منفس للإنسان
المخطط	تصور المستقبل المرغوب فيه	تصور المستقبل المرغوب فيه
	مقسم إلى مراحل مربوطة بالزمن	يعتمد على المخطط المنظم
	يوضح الوسائل	يهتم بالوسائل وبالفعل
البرنامج	ضد الصدفة، لا يهتم بالمشاريع الأخرى	ضد الصدفة، يهتم بالمشاريع الأخرى
	مجموعة مهارات منظمة ومنسقة	عمل منظم عبر مراحل
	محدد بالوقت والفضاء	محدد بالوقت والفضاء
	يحتوي على عدد من المشاريع	.المشروع جزء من أجزاء البرنامج

من انجاز الباحثة

2. ما مدى نجاعة و أهمية المشروع ؟

ان وضع مشروع ما، يعني تحديد وتوضيح العمل الذي نريد القيام به بعد تحديد ما ننوي الوصول إليه، هذا يجعلنا بعيدين كل البعد عن العشوائية والارتجالية وبالتالي تخفيض نسبة عدم الوصول إلى ما نصبوا إليه والعكس قد يؤول بيننا وبين تحقيق أهدافنا. فالمشروع يعطي معنى للأعمال التي نريد القيام بها من خلال معرفة المنتظر منه أي: في ماذا يتمثل؟ ماذا نريد؟ إلى أين نريد الوصول؟

فالعمل بالمشروع يعني تحديد الأهداف، التخطيط، اختيار الوسائل والإمكانيات اللازمة لتحقيقه مع تحديد مدته، مما يجعل كل سلوكاتنا موجهة نحو تحقيق الهدف وتكون بذلك ذات معنى وتستثمر بشكل فعال، وهو يمدنا بالثقة في النفس ويعلمنا الجرأة والإقدام على إتمامه مهما كانت الصعوبات، بالإضافة إلى البحث على تحسين القدرات والكفاءات. فالمشارك في المشروع الذي يحدد هدفا لنفسه يصله من خلاله، يمكن أن يكون هذا الهدف ذا " علاقة مع الرغبة في التغيير على مستوى المعارف، كما يمكن أن يكون مربوطا بأمنية والتي قد لا تكون مربوطة مباشرة بتطوير المعارف، و لكن تبقى تلازم الفعل التكويني " (Bourgeois,E., Nizet, J., 1997, p 60) أي عدم الاكتفاء بما نحن عليه وإنما الرغبة في اكتساب أكبر قدر من المعارف و الكفاءات للتمكن من تقديم الأحسن.

بالإضافة إلى ذلك يؤكد المشروع على بروز محاولات الانفرادية و في نفس الوقت الرجوع إلى نكهة العمل الجماعي ففي كلتا الحالتين هو عبارة عن تنظيم، تقرير و اتخاذ القرارات بالإضافة إلى الشعور بالمسؤولية اتجاه فشل أو نجاح المشروع. والفرد أو الجماعة التي تعرف أين تسير و باختصار تملك أهدافا واضحة تكون واثقة من خطواتها ، فالإنسان هو الذي يوجد الرغبة في الشيء أو لا ، وبالتالي الدافعية له ، ولذا فالعمل بالمشروع يسعى من أجل توفير الظروف لإثارة الدافعية لدا الفرد و الجماعة ، و بالتالي فهي لا تتأثر بما سوف يحل إليها من خارج المشروع و الذي قد يؤثر على مسارها . و هذا ما يمكننا تفسيره بالدافعية إذ " من الخطأ أن نسلم بالفكرة التي تقول أن الدافعية شيء غريزي أو فطري موجود في الإنسان

ومكون لشخصيته، و الأكيد هو وجود أشخاص متحفزين و أشخاص غير كذلك، و الفكرة الجديدة هي أن الدافعية هي إجابة الفرد على الظروف التي يحددها " (Bellenger, L., Ginestet, J.P., op.cit, p 173). هذا يعني أن المحيط الذي يوجد فيه الفرد قد يؤثر سلبيا أو إيجابيا على سلوكه وبالتالي دفعه إلى تقديم كل ما بوسعه من أجل تحقيق المشروع وتفانيه في ذلك لن يصبح بالنسبة له إلا واجب من واجباته، أو دفعه إلى اللامبالاة أمام تحقيق المشروع أم لا أو أمام نجاحه أو فشله. وكما عرفنا فالمشروع نية للتحقيق، وذلك من خلال تحديد أهداف قابلة للقياس الشيء الذي يضمن الفعالية، وهذه الأخيرة تقاس بالجو السائد داخل أفراد المشروع، من تعاون وتنسيق للمجهودات ومن خلال نوعية الاتصال فقد ذكرت .M. Y) (.Barbierأن جتمعة المشروع أو إضفاء الطابع الاشتراكي عليه تمثل خصائص نشاط التغيير والاتصال" (Bordallo, I., Genestet, J.P., op.cit, p 173) ، فهو يشجع على توحيد النشاطات وتناسق الروابط، مما يؤدي إلى فعالية أكثر ونوعية التخطيط، التنظيم والاتصال تعد من أحد عناصره الأساسية سواء كان ذلك على الصعيد العملي (التخطيط / البرمجة) أو على صعيد الوسائل التي توصلنا إلى الأهداف المسطرة أو على الصعيد البنيوي (كيف ننظم وكيف تربط المشروع بالمشاريع الأخرى؟).

4. أولا لا تختلف المشاريع باختلاف أهدافها؟

1.4ماذا عن المشروع التربوي ؟

تبني هذا المشروع يعود إلى نوعية التربية التي نريد الحصول عليها في أي مجتمع، فالأمر يتعلق بالترجمة التربوية للمشروع الاجتماعي أو ما يسميه(Louis Not)في كتاب بيرو (1990، ص 166)، "Le trans educatif " فالمشروع التربوي موجه نحو إدماج الشباب الذي يسمح لهم بالاستقلالية وبالاندماج الثقافي الاجتماعي والمهني وهو يلزم " مساعدة أكبر عدد من المشاركين والمهتمين به نذكر من بينهم العائلة المدرسة المحيط المهني والممثلين السياسيين" (Lecomte, J. M, Nestrigue, A.M ., 1992, p15). و هو غير واضح وتعرفه (J.Arduino) على أنه نية فلسفية أو سياسية تؤكد بطريقة نوعا ما مبهمة (Bireaud, A., ibid, p 166),

والغاية تلعب دورا في قلب المشروع التربوي، إذ " أنه قبل كل شيء هو مشروع مقصود يعبر عن وقت ومكان وجماعة محددة، ويعرف بقانون مخصص لتغيير وتعديل اندماج فئة عمريه من الشباب، إلا نه يوشك أن يبقى صيغة عامة جدا وغير محددة، حتى أنها غير منتهية وهو قيم تبحث عن التحقيق " (Boutinet, J.P., op cit, p 166)، واللغة التي يستعملها تبقى مرجعا مشتركا، ولذا فهو يرجع إلى المشروع البيداغوجي لترجمة هذه المقاصد والصيغ. ومنه نقول أن المشروع التربوي هو قيم عامة لا يمكن تطبيقها كما هي و لكن يكون ذلك عن طريق المشروع البيداغوجي. فما هو يا ترى؟ وما هي خصائصه

2.2 ماذا عن المشروع البيداغوجي ؟

المشروع البيداغوجي مراءاة المشروع التربوي، إذ " يترجم صيغ ومقاصد هذا الأخير إلى مصطلحات أكثر إجرائية (Figari, G., 1995, p 85) وهو يرفض الانفتاح على المحيط الخارجي للمدرسة لأنه يتعامل مع عنصرين أساسيين هما: الأستاذ أو مجموعة من الأساتذة والتلميذ. هذا لا يعني عزل الأسرة عما يحدث بالمدرسة وبالتحديد ما يعيشه أولادها بحجة أنه لا يخصها " فقد تكون لها مراقبة غير مباشرة للمدرسة كالمشاركة في الاجتماعات أو الاتصالات الشخصية مع الأساتذة " (Boutinet, J.P., op cit, p 178). وهو " يحقق من طرف مجموعة الأساتذة وأفراد الهيئة المدرسية وقد حددت له ثلاثة أهداف هي تطوير النشاطات التي تأخذ بعين الاعتبار احتياجات التلاميذ، تكييف التعليم حسب تعدد مرجعية التلاميذ وجعل المدرسة مرحبة بالنشاطات المربوطة بها " (Figari, G., ibid, p 85) ، والمقصود هنا بمرجعية التلميذ هي الخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمع المدرسي أي للتلاميذ المعنيين بالمشروع البيداغوجي وكفاءاتهم، ميولا تهم وقدراتهم.

وهناك ميزتين أساسيتين للمشروع البيداغوجي ألا وهما الدور المتبادل بين التلميذ والأستاذ، ففي بعض الأحيان يأخذ الأستاذ الوضعية الأساسية في المشروع ويحتل التلميذ الوضعية الثانوية، وفي أحيان أخرى يحدث العكس وهذا حسب الوضعية التعليمية التي يكون فيها الاثنين، والميزة الثانية تتمثل في العدد القليل للمشاركين في المشروع البيداغوجي، وأخيرا نذكر بحتمية " التداخل بين المشروع البيداغوجي وبين المشروع الفردي للأستاذ والتلميذ

وكذلك المشاريع الأخرى" (Boutinet, J.P., op cit, p 180) . وكمثال على ذلك فالتلميذ الذي جعل من الأهداف متداخلة بينها ومكملة لبعضها البعض الأساسية لمشروعه الشخصي هي التمكن أكثر فأكثر من المواد العلمية، والأستاذ الذي يريد الوصول بتلاميذ قسمه إلى أعلى مستويات الفهم في المواد العلمية بالإضافة للمؤسسة التي وفرت كل الوسائل لأجل الرفع من المستوى الضعيف للتلاميذ في المواد العلمية ما هو إلا دليل قاطع على أن الكل يخدم التلميذ و أن تحقيق أحدهم لأهدافه يعني تحقيق البقية لجزء من أهدافهم أو لها جميعها.

3.4ماذا عن مشروع المؤسسة ؟

بالإضافة للمشروعين السابقين تنتقل إلى هذا الأخير، وهو عبارة عن إيقاظ ديناميكية جماعة كانت غالبا ليست متفقة أو تخلت عن عمل يستحيل القيام به أو معالجته، مثل الفشل المدرسي أو مشاكل التكوين وغيرها من المشاكل (Boutinet, J.P., op cit, p 178). وقد جاء مشروع المؤسسة "كوسيلة تخطيط، أو تشاور وتلاحم، كإجابة للتطورات الاقتصادية والاجتماعية. فهو يجب أن يسهل ديناميكية التجديد وأن يمس كل ممثلي وأقسام المؤسسة: البنايات، النظام، المنهجية، المحتوى الوسائل الإعانة البيداغوجية، التوجيه، إطار الحياة، استعمال الموارد، تكوين الأشخاص العلاقات مع الخارج"
.(Lecomte, J. M, Nestrigue, A.M ., op cit, p14)

من خلال هذا التعريف يمكننا استخلاص بعض خصائص المشروع المؤسسة، ألا وهي أنه:

- وسيلة عمل جماعية،
- تخص كل العاملين في المؤسسة.
- تمس كل أقسام المؤسسة وخصائصها،
- لا يكون بمنعزل عن المحيط الخارجي للمؤسسة.

الشيء الذي ساعد على تطوير مشاريع المؤسسة حتى أصبحت تشبه مشاريع المنشأة. وهذا لا يعني إنشاء أو خلق مؤسسة جديدة و إنما " إعادة إحيائها من خلال خلق ديناميكية بداخلها "(Boutinet, J.P., op cit, p 178). وبهذا نكون قد تعرضنا إلى مشروع المؤسسة بكل ما يحمله من معان و خصائص.

الخاتمة:

نختم هذا المقال بالتذكير ان المشروع هو محاولة التعرف على الحاضر والتحكم فيه ما يجلب إلى أذهاننا أنواعا أخرى من أنواع حب التطلع والتحكم في المستقبل وبالتالي إلى التساؤل عن الفرق بين المشروع وباقي المصطلحات وخصائص كل واحد وهذا ما حاولنا عرضه بشيء من التحليل في ما سبق من عناصر، اين وضحنا ماهية المشروع في كونه مجموعة إنسانية محددة البنية تنسق فيما بينها بنشاطات مخطط لها بحكمة بغرض تحقيق أهداف محددة. وأن الفرق بينه وبين باقي طرق سبق المستقبل يتمثل في امتيازه بالبحث عن تحقيق الفعل وذلك بتجسيد الفكرة التي تنطلق منها والتي تعبر عن مشكل وذلك بتنظيم محكم للمهام، الوسائل والوقت ولا يكون هذا بدون وجود الرغبة في التغيير ومواجهة المشكل للخروج منه.

فالمشروع أكثر من مجرد مصطلح حاولنا الوصول إلى معانيه و العلاقة بينه و بين المصطلحات القريبة منه، فوجدنا انه يتحول سريعا من مجرد تصور إلى فعل يبحث عن تحقيق ما هو غير موجود و نرغب في جعله ملموسا و واقعيا، إذ أنه يحمل أكثر من قيمة سبق المستقبل بل يمكننا القول أنه صانع لجزء من المستقبل .

ولقد تعرفنا كذلك على أنواعه وقلنا أن المشروع التربوي لا يمكن تقييمه أو تضييقه لأنه عموميات تخص المجتمع عامة وهو لا يحدد بالحقل المدرسي فقط وإنما هناك عدة مشاركين فيه مثل الأسرة، والمؤسسات التعليمية والتكوينية، كلهم حسب ادوارهم يسعون إلى ترجمة غاياته إلى أهداف إجرائية يتحدد ذلك بالمدرسة وعن طريق المشروع البيداغوجي. وكما وضحنا لكي تزداد فعالية المؤسسات التربوية لُجأ لمشروع المؤسسة والذي يضم العديد من المشاريع البيداغوجية ويجمع كل أفراد المؤسسة والمتعاملين معها حول أهداف موحدة تخدم التلميذ والمؤسسة في آن واحد وبطرق مختلفة.

ورغم ما تناولناه في هذا المقال من عناصر حاولنا تحويط فكرة المشروع من خلالها إلا أنه لا يزال الكثير من الجوانب المهمة للتسيير بالمشروع، كمعاييره، منهجية بناءه وتحقيقه العنصر البشري ودوره في إنجاح التسيير بالمشروع من خلال اتصال فعال، مما يأخذنا للوظائف الحيوية للتسيير بالمشروع من بينها وظيفة الاتصال. ونظرا لأهمية كل فكرة من الأفكار المطروحة وأهمية التعرف على تفاصيل أكثر حولها سيكون لنا مقالات أخرى فير هذا الموضوع.

قائمة المراجع:

(1) زعرور لبنى، العمل بالمشروع داخل المنظومة التربوية الجزائرية _مدى فهم واستيعاب رؤساء المؤسسات التربوية لتعليمات الوزارة حول تطبيق مشروع المؤسسة، أطروحة ماجستير غير منشور، جامعة قسنطينة، 2002.

(01) ANGERS, M., Initiation pratique a la méthodologie des sciences humaines, coédition, Québec, by édition CEC, 1996, Alger, by Casbah université, 1997.

(02) BARJOU, B... Manager par Projet, Méthode et comportement pour animer hors statut hiérarchique, Paris, ESF éditeur,1998.

(03) BENOIT, D. Information communication : théories et pratiques, Paris, les éditions d'organisation, 1994.

(04) Bireaud. A.. Les méthodes pédagogiques. Paris, édition l'organisation, 1990

(05) Bonvatot, G., Courtios, B., L'auto biographie – projet, in éducation permanente, université Dauthine, Paris, Edition eréf, 1984.

(06) BORDALLO, I., GINESTET J. P. pour une pédagogie du projet. Paris, HACHETTE éducation, 1993.

(07) BOURGIOES, E., NIZET, J., Apprentissage et formation des adultes, Paris, PUF, 1997.

(08) BOUTINET, J.P. Anthropologie du projet, Paris, PUF psychologie d'aujourd'hui, 1993,3ème édition.

(09) COUCHAERE, M. J., BELLENGER, L., Animer et gérer un projet, un concept et des outils pour anticiper l'action et le futur, Paris, ESF éditeur, 1999, 4éme édition.

(10) DENNERY, M., Piloter un projet de Formation, du diagnostic des besoins à la mise sous assurance qualité, Paris, ESF.1999.

(11) DESJEUX, D., et autres., Le projet un défie nécessaire à une société sans projet, Paris, l'Amarttan, 1992.

(12) FIGARI,

(13) GABILLIET, P., Savoir anticiper, les outils pour maîtriser son futur. Paris, ESF édition, 1999.

(14) GUICHARD. J. L'école et les représentations d'avenir des adolescents, Paris, PUF, 1993, 1ére édition.

(15) LECOMTE, J.M., NESTRIGUE, A.M., l'établissement dans la démarche de projet, Paris, HACHETTE éducation, 1992.

(16) Ministère de l'éducation française, direction des écoles, Paris, Le projet de l'école, 1992.

(17) OBIN, J.P., CROS, F. Préface de ROCARD, M., le projet d'établissement, Paris, HACHETTE éducation, 1991.

(18) Rondeau, J, L., La figure et l'objet : considération sur le projet, in le projet un défi nécessaire face à une société sans projet, Paris, L'amarttant,1992.